مجلة القرطاس
تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية ISSN 3135-4564
https://alqurtas.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/qjhar/index مجلة علمية محكمة نصف سنوية

معالم منهج التأليف الفقهي عند ابن حزم الظاهري من خلال مؤلفه المحلى

سيدي محمد رضا رحـــالي*
طالب باحث في مرحلة الدكتوراه ، تخصص: العلوم الإسلامية ، مديرية التربية لولاية تلمسان
sidimohammedredarahali1978@gmail.com
https://orcid.org/0009-0003-3907-420X

تاريخ الاستلام 27 / 5/ 2026م تاريخ القبول13 / 8/ 2026م

Features of the Jurisprudential Writing Method of Ibn Hazm al-Zahiri Through His Work Al-Muhalla

Sidi Mohamed Reda Rahali*
PhD research student, Major: Islamic Sciences, Directorate of Education of Tlemcen Province
sidimohammedredarahali1978@gmail.com

Abstract:
The book "Al-Mahalla" by Ibn Khurram Al-Dhaheri (456 AH) is one of the most prominent fruits of the fifth century AH in the jurisprudential classification in Andalusia in particular, and that its author wrote it in the light of a strong authorship movement represented by the great Maliki jurists, headed by Ibn Abd al-Barr (- 463 AH) through his book "Al-Tamhid" and his book "Al-Istadkar" and Al-Baji (493 AH) through his book "Al-Muntaqa fi Sharh Al-Muwatta", yet Al-Mahalla imposed its presence in the list of distinguished jurisprudential works in terms of method and content, until Al-Izz Ibn Abd al-Salam said about it (Al-Shafi'i al-Madhhab) said: "What I have seen in the books of Islam in science, such as al-Mahalla by Ibn Hazm and al-Mughni by Ibn Quddamah, and the axis to which this intervention belongs is the third axis: the methods of authorship adopted in the sciences of transmission during the 5th and 6th centuries AH
The problem can be summarized as follows:
What are the features of the method of composing the locality adopted by Ibn Hazm al-Dhaheri? What is its scientific status, ancient and modern, in the

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

field of jurisprudential classification? Following the analytical and inductive methods according to the following plan:
The first topic: A brief overview of Ibn Haram al-Dhaheri.
The second topic: Jurisprudential Composition in Andalusia during the Fifth Century AH
The Third Topic: Introducing the Book "Al-Mahalla" by Ibn Hazm
Fourth Topic: The Milestones of the Method Adopted by Ibn Hazm in Composing Al-Mahalla
Conclusion.
List of Sources and References
Keywords: Ibn Hazm – Al-Mahalla – Method – Jurisprudential Classification – Andalusia – 5th Century AH

الملخـــــــــــــص:

يعد كتاب "المحلى" لابن خرم الظاهري (456هـ) من أبرز ما أثمرته مرحلة القرن الخامس الهجري في التصنيف الفقهي بالأندلس خاصة، و أن صاحبه ألفه في ظل حركة تأليف قوية مثلها كبار فقهاء المالكية على راسهم ابن عبد البر (- 463 هـ) من خلال كتابه " التمهيد " وكتابه " الاستذكار" والباجي (493هـ) من خلال كتابه " المنتقى في شرح الموطأ"، ومع ذلك فرض المحلى وجوده في قائمة المصنفات الفقهية المتميزة منهجا ومضمونا، حتى قال عنه العز ابن عبد السلام (الشافعي المذهب) : " ما رأيت في كتب الاسلام في العلم مثل : المحلى لابن حزم والمغني لابن قدامة ، والمحور الذي تنتمي إليه هذه المداخلة هو المحور الثالث : مناهج التأليف المعتمدة في العلوم النقلية خلال القرنين 5 هـ و 6هـ ، وأما الإشكال فيمكن تلخيصه فيما يلي:
ما هي معالم منهج تأليف المحلى الذي اعتمده ابن حزم الظاهري؟ وماهي منزلته العلمية قديما وحديثا في باب التصنيف الفقهي؟ متبعا المنهج التحليلي والمنهج الاستقرائي .
الكلمات المفتاحية: ابن حزم – المحلى – المنهج – التصنيف الفقهي – الأندلس – القرن 5 هـ

المقدمـــــــــــة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فإن تاريخ الفقه الإسلامي عرف ازدهارًا ملفتًا خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين من خلال نشاط حركة التأليف الفقهي في الأندلس التي عرفت بروز فقهاء وعلماء كان لهم الأثر البالغ في إثراء المكتبة الإسلامية بل وفي تجديد الفقه الإسلامي

فروعا وأصولا وفتوى ونوازل من خلال إبداعات الفقهاء والعلماء، ومن أبرز هؤلاء علامة الأندلس الإمام الموسوعي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت 456 هـ)، الذي يعد من أكبر علماء الإسلام تصنيفا وتأليفا بعد الطبري، وهو إمام حافظ فقيه لغوي فيلسوف ، أصولي موسوعي ، ومن أبرز ما خلفه للأمة الإسلامية موسوعته الفقهية الرائعة "المحلى بالآثار" الذي مدحه العلماء من مختلف المذاهب الفقهية الأخرى، ونال اهتمام العلماء قديما و حديثا بالدراسة والتحقيق والشرح والبيان، فنهل منه طلبة العلم الدرر و اللآلئ حتى قال العز بن عبد السلام : " ما رأيت في كتب الإسلام في العالم مثل المحلى لابن حرم وكتاب و " المغني " لابن قدامة .

إذا نحن أمام تراث جدير بالدراسة والبحث فكان هذا البحث خاصا بدراسة المنهج التأليفي للمحلى، في أزهى عصور التأليف الفقهي في العلوم الاسلامية بالأندلس خلال القرن 5 هـ

والاشكال المطروح: ما هي القيمة العلمية لهذا المؤلف؟ وما هو منهج تأليفه ومعالم دراسة موضوعاته؟

والهدف من البحث هو استخراج معالم التأليف الفقهي للمحلى من خلال استخراج منهجه وإطاره الموضوعي وابراز قيمته العلمية قديما وحديثا، وقد اعتمدت المنهج التحليلي والوصفي والاستقرائي لاستخراج هذه المعالم متبعا الخطة الآتية:

مقدمة

المبحث الأول: نبذة عامة للتعريف بابن حزم ، والمبحث الثاني: التأليف الفقهي في الأندلس خلال القرن 5 هـ ، والمبحث الثالث: التعريف بكتاب "المحلى بالآثار" لابن حزم ، والمبحث الرابع: معالم منهج التأليف الفقهي الذي اعتمده ابن حزم في المحلى

خاتمة ، والمصادر والمراجع

المبحث الأول ـ نبـــدة وجيزة على التعريف بابن حزم الظاهـــري:

هو الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الأندلسي القرطبي، أحد أقطاب العلم والمعرفة في الأندلس وعلمائها البارزين، ولد بقرطبة في الثلاثين من رمضان سنة 384 هـ (994م)، بيت عز وشرف ووزارة، حيث كان أبوه وزيراً في بلاط الدولة العامرية لدى خليفتها المنصور بن أبي عامر.

تلقى تنشئته العلمية الأولى على يد نساء القصر الذي تربى فيه، فعلمنه القرآن

والحديث واللغة والشعر والخط، كما يقول هو على نفسه في طوق الحمامة: "ولقد شاهدت النساء، وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري، لأني ربيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن ولم أعرف غيرهن، وهن علمنني القرآن، وروينني كثيراً من الأشعار ودربنني في الخط (1)

كما أخذ العلم في شبابه على يد كبار علماء الأندلس. التي كانت تمثل حينها حاضرة علمية متميزة وخاصة قرطبة، بمكتباتها ومساجدها وحلقات العلم الغزيرة فيها في مختلف الفنون من لغة وتفسير وفقه وأصول وعقيدة وفلسفة ... فتعددت مواهبه، وتنوعت مشاربه العلمية، حيث أصبح موسوعة علمية بامتياز.

من أبرز شيوخه أبو عمر أحمد بن محمد بن الجسور (ت 401 هـ)، وأبو القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد المصري (ت 410 هـ)، وأبو سعيد الفتى الجعفري، ويحي بن مسعود بن وجه الجنة ... وغيرهم.

وتتلمذ على يده الكثير من أبرزهم. القاضي صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن التعلي قاضى طليطلة، الطرطوش محمد بن الوليد الفهري، محمد بن أبي نصر الحميدي، الإمام الوزير أبو محمد عبد الله بن محمد بن العربي والد القاضي أبو بكر بن العربي العلامة المالكي.

أما حياته العلمية فقدا اشتهر عنه - رحمه الله - أنه اطلع على أصول المذهب المالكي والشافعي، وأعجب بهذا الأخير ليتحول بعده إلى المذهب الظاهري الذي أسسه داوود بن علي بالعراق، وقام بتجديد أصوله وقواعده بمنهجية علمية متميزة، حتى أصبح المذهب الظاهري ينسب اليه.

وقد شهدت مسيرة ابن حزم ، محنا ومنحا تقلب فيها ، وتعلم منها وتكونت من خلالها لديه معالم الشخصية العلمية الموسوعية النقدية، حيث شغل منصب الوزارة ليطلق السياسة بعدها، و ينصرف إلى العلم دراسة وتدريسا وتصنيفا، ويعد الإمام ابن حزم من أكثر العلماء تصنيفا وتأليفا للكتب والمصنفات العلمية، حيث بلغ إنتاجه العلمي حوالي 400 مجلد في حوالي ثمانين ألف ورقة في مختلف العلوم والفنون، بين مخطوط ومطبوع ، و مفقود(2) ، مما يدل على موسوعيته العلمية وسعة اطلاعه على مختلف العلوم، و يجدر بنا هنا أن نذكر أهم فتنة تعرض لها الإمام ابن حزم في حرق كتبه ، وطرده من مدينته بعد ما تعرضت عائلته للقهر والاضطهاد، والاعتقال والتعذيب ، ثم محنة الأقران من العلماء المقربين من السلاطين خاصة أتباع المذهب المالكي، نتيجة آراءه و انتقاده اللاذع للفقهاء أهل القياس، حيث اشتهر عنه إبطال القول بالقياس

والاستحسان والاستصلاح والاكتفاء بالقرآن والسنة وإجماع الصحابة ، وتمسكه الشديد بظواهر النصوص ، مما ولد لدى الآخـــرين ردة فعل قوية تمثلت في عزله وسجنه ، ونفيه ، ومع ذلك استطاع الإمام ابن حزم أن يفرض وجوده في الساحة العلمية رغم ما تعرض له بفعل ما تركه الإمام من تصانيف ممتازة لا يستغني عنها العلماء قديما و حديثا، و على رأسها "الإحكام في أصول الأحكام في أصول الفقه"، و "المحلى بالآثار" (موضوع الدراسة).

المبحث الثانـــــي ــ التـأليف الفقهـي فـي الأنـدلس خـلال القـرن الخـامس الهجري:

يعد القرن الخامس الهجري في تاريخ الأندلس الحلقة الذهبية فيما يخص حركة التأليف والتصنيف العلمي الفقهي، رغم الاضطرابات السياسية التي كانت تعيشها منطقة الأندلس من سقوط الخلافة الأموية وظهور ما تعرف بملوك الطوائف إلا أن الأندلس حافظت على بريقها وإشعاعها العلمي، حيث كانت مدنها (وعلى رأسها قرطبة وغرناطة) حواضر علمية يقصدها الطلبة والعلماء، وتكثر فيها المكتبات، وتزخر فيها مجالس العلم بالعلماء والطلبة في مختلف صنوف العلم.(3)

وتجدر الإشارة بما أننا بصدد الحديث عن الجانب الفقهي في هذه الفترة ، إلى أن المذهب المالكي السائد في الأندلس، حيث تعتبر المرجعية الفقهية السائدة فيها كان له الأثر البالغ في ازدهار حركة التأليف الفقهي، الخاصة مذهب إمام دار الهجرة فضلا عن أن المدرسة الأندلسية تعد احدى المدارس الفقهية الكبرى إلى جانب المدرسة المدنية والمصرية والعراقية، فتعددت تصانيف العلماء من شروح، ومختصرات ، وشرح آيات الأحكام و أحاديث الأحكام، وعلى رأسها موطأ الامام مالك ، ومدونة سحنون، التي كانت تمثل المرجع الأصيل للفقه المالكي ، فكثرت شروحها ، ومختصراتها، كما اشتغل العلماء بالشرح والتعليق على النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني، والتي وصلت إلى الأندلس من المغرب فيجد على سبيل المثال لا الحصر، شرح أبي الوليد الباجي (ت 474 هـ) للمدونة في كتابه "التقريب في شرح الملونة واختصارها "، وقد كان مرجعا للطلاب وتهافت علي العلماء وتنافسوا في اقتنائه لجودته وحسن اختصاره، وكتاب "شرح المدونة واقتصارها" لأبي القاسم خلف البرالي البلنسي (ت444 هـــ) ، والذي اعتمد فيه على تحرير مسائل المدونة وتهذيبها لتكون أقرب للفهم و الحفظ.

والكافي في فقه اهل المدينة للإمام الحافظ ابن عبد البر النمري (ت 463 هـــ) وإن لم

يكن كتابه شر حرفيا للمدونة إلا أنه يعد من أهم كتب الفقه على مذهب مالك، معتمداً على نصوصها وأدلتها.

هذا بالإضافة إلى كتابه التمهيد والاستذكار واللذان يعدان موسوعتان شاملتان في الفقه والحديث والرجال، والذي اعتمد فيهما الإمام ابن عبد البر موطأ الإمام مالك أساسا لتأسيس موضوعات المؤلفين، وتفنن فيه وبرع في شرحا وبيانا واستنباطا للمسائل الفقهية من الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين، مع بيان مذاهب فقهاء الأمصار في المسألة خاصة في كتاب "الاستذكار" الذي يعد بحق كتابا رائقا في الخلاق العالي، ولا يفوتنا في هذا السياق أن نذكر أيضا ما قام به الإمام الباجي في شرحه للموطأ، والذي سماه "المنتقى شرح موطأ الإمام مالك" والذي برع في شرح أحاديثه معتمداً ترتيب الإمام لأبوابه وكتبه وفق ترتيب الموطأ ، وظهرت في هذا الشرح البصمة العلمية المتميزة للإمام الباجي في استنباطاته الفقهية الأصولية، خاصة وأنه العالم الأندلسي الذي رحل إلى المشرق والحجاز، ونهل من علمائهما، و أتقن فن الجدل والمناظرة والانتصار لمذهب مالك، بمنهجية علمية فذة، مطبقا ما جاء في مؤلفة "الأصول إحكام الفصول" من قواعد أصولية على شرح أحاديث الموطأ واستنباط مسائلة الفقهية.

هذا جانب من تصانيف فقهاء المالكية في الأندلس خلال هذا القرى، ضف إليها ما يعرف بكتب الفتاوى والنوازل كنوازل ابن سهل (ت 486 هـ)، في توثيق أحكام القضاء والقضاة، كما بدأت تتشكل مسائل المعيار المعرب للونشريسي، والتي جمعها لاحقا في مؤلف ضخم... مما يدل على نشاط وفاعلية حركة التأليف الفقهي في الأندلس خلال القرن 5 هـ.

وسط كل هذا النشاط ظهر ابن حزم الأندلس وبرز دوره في التصنيف الفقهي، واستطاع – رغم سيادة المذهب المالكي وقوة وجوده، وكثرة علمائه وغزارة انتاجهم العلمي، أن يفرض وجوده بقوة من خلال ما ألفه سواء في أصول الفقه من خلال كتابة " الإحكام في أصول الأحكام "الذي يعد من أبرز المصنفات الأصولية في تاريخ الفكر الاسلامي قديما وحديثا، حيث دافع فيه عن منهجه الحزمي الظاهري داعيا إلى التقيد بالنص، ونبذ القياس ليفعل هذه القواعد وهذا المنهج في مؤلفه الضخم الموسوم ب " المحلى بالآثار "والذي خاض فيه معارك علمية موسعة ضد المذاهب الأخرى (أرباب القياس) من المالكية والحنفية والشافعية، حتى عند من أعلام التأليف الفقهي الأندلسي خلال القرن 5 هـ، لما حضي به مؤلفه هذا من العناية والانتشار واهتمام العلماء به،

حتى قال العز بن عبد السلام "ما رأيت في كتب الإسلام مثل المحلى والمجلى لابن حزم أو كتاب المغني للشيخ موفق الدين.

وعقب الشيخ الذهبي على قول العز بقوله "صدق الشيخ عز الدين وثالثهما السنن الكبرى للبيهقي، ورابعها، التمهيد لابن عبد البر.(4)

والذي ساعد على بروز ابن حزم وفرض وجوده على الساحة العلمية نبوغه في مختلف الفنون، من منطق، وحديث ولغة وفقه، وأصول وجدل ... رغم كل ما قيل حوله، وأثير حول منهجه الظاهري، لكنه يبقى رائداً بامتياز وبكل موضوعية من رواد التصنيف الفقهي الأندلسي، الذي ذاع صيته وتجاوز فيما بعد حدود الأندلس ونال اهتمام العلماء والدارسين شرقا وغربا، إلى وقتنا الحاضر.

المبحث الثالث ـ التعريف بكتاب "المحلى بالآثار":

يُعد كتاب "المحلى بالآثار في شرح المجلى بالاختصار" موسوعة فقهية شاملة متميزة، منهجا ومضمونا، لما احتوته من مسائل فقهية، تناولها الإمام ابن حزم بمنهجية علمية تقوم على القواعد الأصولية التي تبناها في مذهبه بظواهر النصوص القائم على التمسك بظواهر النصوص من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وبطلان القياس والتعليل، فكان المحلى بمثابة الأرضية التطبيقية التي مارس عليها الإمام ابن حزم تطبيق قواعده الأصولية التي تبينها في الإحكام في أصول الأحكام، والتي تعبر عن منهجها الظاهري الذي التزم به تأصيلاً وتنظيرا و تطبيقا.

ويعد كتاب "المحلى" واحدا من أربعة كتب صنفها ابن حزم في أحكام الحلال والحرام، أكبرها كتاب أسماه "الايصال إلى فهم الخصال"، شرح فيه بتفصيل، وبسط كتابه الآخر "الخصال الحافظ لجمل شرائع الإسلام"، وهو أوسطها، باقي أصغرها وهو "المحلى"، وهو عبارة عن مسائل فقهية مختصرة،(5) عارية عن الأدلة الشرعية، فكان المحلى تأصيلا للمجلى من خلال ربط المسائل الفقهية الواردة فيه بأدلتها التفصيلية من القرآن والسنة، وإجماع الصحابة، وبيان المذاهب الفقهية فيها ومناقشة أدلتها، وترجيح الحكم بناء على الأدلة وفق منهجه.

وقد اختلفت تسمية الكتاب حسب اختلاف المخطوطات، فالاسم الأصلي كما وضعه ابن حرم أولا " المحلى في شرح المجلى بالخلاص و المجلى" أما الاسم الشائع في المطبوعات المعاصرة هو" المحلى بالآثار" اشهرت بهذا الاسم، طبعة الشيخ أحمد محمد شاكر، وطبعة دار الفكر (تحقيق لجنة إحياء التراث العربي).

أما اختلاف عناوين "الكتب والأبواب" بين مختلف الطبعات فيرجع إلى صنيع

المحققين، والنساخ، حيث كان ابن حزم يكتب أحيانا مثلا (كتاب الطهارة)، ثم يفرع تحتها المسائل المتعلقة بها، فيقوم بعض المحققين بابتكار عناوين فرعية أخرى تسهيلا لقراءة الكتاب (مثل: باب المياه، بات نواقض الوضوء...) بينما منهج ابن حزم يعتمد على رقم المسألة كعنوان مستقل بذاته دون تبويب فرعي طويل.

ولعل أهم تحقيق للكتاب - حسب رأيي المتواضع - هو تحقيق الدكتور بشار عواد معروف بمعية سليم محمد عامر، والدكتور محمد بشا عواد، والذي بعد ضمن سلسلة إصدارات مكتبة عبد العزيز بن خالد بن محمد آل ثاني، يقع في عشرين مجلداً، وقد فاز صاحبه بشار عواد بجائزة كتاب العام التراثي، في يوم المخطوط العربي.

ويعد تحقيقه للمحلى تحقيقا شاملا شمل المنهج الحديثي وتحقيق المخطوط والمقارنة بين مختلف مخطوطات الكتاب، والتعليق على المسائل الفقهية الحديثية و العقدية، ويؤكد من خلال هذا التحقيق الدكتور شار عواد أن الإمام ابن حزم ليس ظاهريا بالمفهوم الشائع عند الكثيرين كظاهرة داوود بن علي، وإنما تميز ابن حزم بمنهج متميز قريب من منهد المحدثين، وعلى رأسهم الحنابلة مع تفرده بقضايا منهجية تميز بها وحده - رحمة الله - ويشترك ابن حزم مع الإمام أحمد، في كراهية التمذهب، لذلك عزف عن انتقاده له وهو يتعرض بالنقد للمذاهب الفقهية الأخرى (الحنفية المالكية الشافعية)(6) .

وتجدر الاشارة إلى أن ابن حزم توفي قبل أن يتم كتابه "المحلى"، حيث توقف فيه عند المسالة 2023، في الحج، ليتولى ابنه أبو رافع الفضل بن علي إكماله، مستعينا بمسودات أبيه، وكتبه الأخرى "كالإيصال".

والملاحظ على كتاب "المحلى" أنه ليس كتابا فقهيا عاديا، بل هو موسوعة فقهية ممزوجة بالحديث والعقيدة، حيث قسم الكتاب إلى أبواب كبرى (تسمى الكتب) وتحت كل باب مئات المسائل المرقمة، حيث يطرح المسالة كعنوان، ثم يسوق الأدلة عليها، فنجد المسائل التمهيدية أولا (مقدمة الأصول والعقائد) حيث يراها الأساس قبل الفروع، مثل مسألة توحيد الله وبطلان التقليد، ومسألة مصادر التشريع وانحصار الدين في القرآن والسنة الثابتة، وإجماع الصحابة.

- مسالة إبطال الرأي والقياس
- مسالة البراءة الأصلية

ثم أبواب العبادات من طهارة وصلاة وزكاة وصيام...تحت كل عبادة مجموعة مسائل فرعية.

فأبواب المعاملات والأحوال الشخصية ككتاب النكاح وكتاب الطلاق، وكتاب البيوع

والتجارات، وكتاب الأيمان والنذور، ثم أبواب السياسة الشرعية والقضاء والجنايات، وما يتعلق بها من مسائل كالجهاد والإمارة والغنائم وأحكام أهل الذمة، والقصاص، والديات، والحدود، والأقضية والشهادات، والدعاوى والبينات، كل ذلك بنهج يقوم على تطبيق القواعد الأصولية الخاصة بمنهجه الحزمي ، ونقد آراء المذاهب الأخرى واستدلالاتها ما أمكن نصرة الراية الفقهي(7)

المبحث الرابع ــ معالم المنهج المحلي الذي اعتمده ابن حزم في تأليفه للمحلى:

سبقت الإشارة الى أن ابن حزم ألف في بادئ الأمر كتابه المختصر (المجلى)، والذي هو عبارة عن ملخص فقهي، حوى المسائل الفقهية مجردة عن أدلتها التفصيلية، لينتقل بعده إلى تأليف (المحلى)، الذي يعد شرحا للمجلى ببسط مسائله مقترنة بأدلتها التفصيلية، مع عرض آراء فقهاء المذاهب الأخرى، ومناقشتها، والرد عليها، وترجيح ما يراه راجحا بناء على منهجه الحزمي الظاهري وقواعده الأصولية التي اعتمدها وبينها في كتابه الأصولي (الإحكام في أصول الأحكام)، ويتلخص منهج ابن حزم في تأليفه للمحلى فيما يلي:

1- التزامه بالأخذ بظاهر الأدلة من قرآن وسنة، وإبطال القول بالقياس والتعليل، فهو متقيد بظاهر النص إلى أبعد الحدود، من ذلك قوله: " وفرض على كل فصل أن يقول إذا قرأ: أعوذ بالله والشيطان الرجيم "لا بد له في كل ركعة من ذلك لقول الله تعالى: " فإذ قرأت القرآن فاستعد بالله من الشيطان الرجيم"(8)

وهكذا حيث يبدأ كل مسألة بذكر حكمها الاجمالي، ويسوق الآيات والأحاديث الواردة فيها مع ذكر أقوال وآراء الفقهاء من المذاهب الأخرى ويناقشها، ويرد عليها معتمداً على منهجه الحزمي الظاهري، ويبين الراجح بناء على القواعد الأصولية التي اعتمدها في الاستدلال.

2- اتقانه للصناعة الحديثية: تبيان حال الراوي والتعقيبات الحديثة بالجرح والتعديل والكلام في علل الحديث، والتعريف بالرواة، وإثبات السماع وعدمه، وذكر صاحب اللفظ، والحكم على الحديث صحة وضعفا ...(9)

3- ذكر الآراء والأقوال الفقهية المتنوعة ومناقشتها والرد على استدلالاتها فضلا عن ذكر أقوال الصحابة والتابعين قبلها في المسألة، مما جعل كتاب المحلى موسوعة في الفقه المقارن بامتياز، وأضفى عليها دقت في اشتمالها على مختلف الآراء الفقهية

ومناقشتها مما يدل على غـــزارة علم صاحبها وإلمامه الكبير بالمـذاهب الفقهيـة وأقـوال السلف.

4- الحدة في الأسلوب والصرامة في الرد على المخالفين: حتى قيل إن لسان ابـن حـزم، وسـيف الحجـاج شـقيقان »، يتجلـى ذلـك فـي الانكـار الشـديد علـى المخـالفين مـن أهـل المذاهب الأخرى خاصة المقلدين في تركهم للحديث والتمسك بقـول إمـامهم مثـل عبـارة (وهذا عجب لا خفاء فيه) أو (وهذا باطل لا يجوز) ....

5- اتباع هيكل تنظيمي دقيق: من خلال صياغة المسألة كقاعدة ثم يصـنع الحكـم الفقهـي بصيغة جازمة، ومختصرة مثل قوله مثلا: ولا يجوز كذا ... أو فرض على كل أحد كـذا .....

6- التمسـك بقواعـد اللغـة والمنطـق: باعتمـاد معـاني الحـروف ودلالات الأمـر والنهـي الأصلية كإفادة الأمر الوجوب والنهي التحريم ما لم يأت نص آخر صارف.

7- تنوع مشارب المحلى: فهو كتـاب حـديث مـن جهـة وفقـه مـن جهـة أخـرى، وعقيـدة وعلوم القرآن، كذلك بلغ من العناية مبلغا رائقـا دمـج فيـه ابـن حـزم علـوم الشـريعة مـن حديث وفقه وأصول، هدف من خلال هذا الدمج تجريد الاتبـاع للرسـول صـلى الله عليـه وسلم، وإرجـاع النـاس إلـى الأصـول الأولـى للتشـريع ة إحيـاء فريضـة الاجتهـاد ونبـد التقليد.(10)

8-اعتماد قاعدة البراءة الأصلية (الأصل في الأشياء الإباحة) ولا ينتقل الشيء عنده مـن دائرة المباح إلى عكسه إلا بنص صريح، أو سنة نبوية ثابثة، ممـا نـتج عنـه توسـعه فـي المباح، توسعا شمل مجالات عدة من الحياة، خاصة إذا أضـفنا إلـى هـذه القاعـدة إنكـاره للقياس، فلا حرمة عنده تثبت بديل القياس، واثباته لحكم المباح في ذاته حتى لو أدى إلى حرام في مآله، بناء على إنكاره قاعدة سد الذرائع المثبتة في المذاهب الأخرى.(11)

الخاتمـــــة :

يعد هذه الرحلة السريعة في رحاب المحلى لابن حزم يمكن استخلاص النتائج الآتية:

1- المحلى شرح مطول ومبسوط للمجلى الذي ألفه ابن حزم، حيث بسط فيه بيان الأدلـة على ما ترجح لديه مـن آراء فقهيـة اسـتنبطها بالاعتمـاد علـى منهجـه الظـاهري المتقيـد بالنصوص وإجماع الصحابة وإبطال القياس والتعليل وسد الذرائع.

2- يعد كتاب المحلى ثروة فقهية غزيرة متميـزة ومرجعـا أساسـيا للاطـلاع علـى أقـوال السلف ومذاهبهم، يمـا احتـواه مـن آراء وأقـوال متنوعـة تعبـر عـن موسـوعية صـاحبها وإلمامه بالنصوص والآراء والآثار.

3- طريقة استدلال ابن حزم في المحلى وتطبيق قواعده الأصولية الاستدلالية تعبر على عبقرية فقهية متميزة، يتعلم من خلالها الطالب الصناعة الفقهية، بما يتكون له من إلمام بالقواعد وكيفية تنزيلها على النصوص والأدلة الشرعية.

4- يمثل التوسع في المباح عند ابن حزم أصلا اجتهاديا كبيرا جديرا بالمتابعة والدرس إذ تندرج تحته الكثير من أحكام المعاملات المعاصرة خاصة الاقتصاد الرقمي والأحكام الطبية والبيئية، والسياسة الشرعية بما يحقق مرونة التشريع الإسلامي بعيدا عن القياس والذرائع وغيرها.

5- يمثل المحلى أرضية تطبيقية للإحكام في أصول الأحكام مارس عليه ابن حزم تطبيق قواعده وآرائه الأصولية

وعليه مكن التوصية لما يلي:

ــ الاهتمام بالمحلى تدريسا ودراسة من طرف الطلبة والباحثين لأنه لا يزال بكرا يحتاج إلى دراسات تستخرج دوره ومكنوناته.

ــ برمجة دراسة المذهب الظاهري بالاعتماد على المحلى لابن حزم في المقررات الدراسية في الدراسات الإسلامية لترسيخ الملكة الفقهية العلمية لدى الطلبة والباحثين وتوسيع أفق النظر والبحث الفقهي.

ــ إدراج المحلى ضمن المراجع والمصادر الفقهية المعتمدة في المجالس العليا الإسلامية ومجامع الإفتاء لدى الدول الإسلامية، والاستفادة منه خاصة فيما يتعلق بنوازل الاقتصاد والطب وتكنولوجيات الإعلام، والسياسة الشرعية ... وغيرها بما احتواه من سعة منهجية فقهية شاملة.

ــ استخراج مواطن التجديد الفقهي من خلال دراسة المحلى وكيف استطاع أن يفرض وجوده في ظل نشاط شرس للتأليف الفقهي على مذهب الإمام مالك السائد في ربوع الأندلس.

رحم الله ابن حزم وجل العلماء العاملين ووفقنا للانتفاع بآثارهم وجمعنا جميعا في مستقر رحمته

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامـــــــــــــش :

[1]- ابن حـــزم الظاهري، طوق الحمامة في الألفة والألاف: ص 69 - المكتبة الشاملة وانظر ايضا جدوة المقتبس للحميدي المكتبة الشاملة، وسير أعلام النبلاء للذهبي المكتبة الشاملة، ونفح الطيب للمقري - المكتبة الشاملة.

[2]- محمد أبو زهرة، ابن حزم، حياته، عصره، آراؤه، ص 28، المكتبة الشاملة، وانظر عبد الحليم عويس، ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ص 66، المكتبة الشاملة.

[3]- المقري، نفح الطيب، وعبد الحليم عويس - الامام ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري

[4]- الذهبي، سير أعلام النبلاء، وعبد الحليم عويس، الإمام ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري

[5]- الكتاب الأثري، وصف المحلى، ص 11، نقلا عن وصف كتاب المحلى لابن حزم، خالد محمد يحيى القطابري، ص 176، موقع مجلة كلية الدراسات الاسلامية الإسكندرية.

6- بشار عواد معروف، تحقيق المحلى لابن حزم، المقدمة، مكتبة نور الإلكترونية، ولقاء مصور على اليوتيوب بعنوان: أجود ما حقق د. بشار عواد معروف، كتاب المحلى لابن حزم ورأيه فيه.

7- بشار عواد معروف، تحقيق المحلى (المقدمة والفهرس)، مكتبة عبد العزيز بن خالد بن حمد آل ثاني.

[8]- ابن حـــزم، المحلى 278-363، موقع مكتبة نور الإلكترونية والآية من سورة النحل، رقم: 98

9- سالم احمد سلامة، منهج الإمام ابن حزم الطاهري في كتابه "المحلى" ص 6-7-8 موقع مكتبة عبد الجامعة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدكتور بشار عواد ذكر في سياق تحقيقه للمحلى أن ابن حزم تميز بالتشدد في د في نقد الروايات والرواة رغم مكانته العلمية في الحديث فضعف بعض الأحاديث الصحيحة وصحح بعض الأحاديث الضعيفة (أنظر مقدمة التحقيق).

[10]- محمد أبو زهرة، ابن حزم، حياته وآراؤه، عبد الحليم عويس، ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي، ومحمد علي عباد حميسان، الإمام ابن حزم الأندلسي والتعريف بكتابه "المحلى" ص 126-150

[11]- محمد الزحيلي، الوجيز في أصول الفقه، وأبو زهرة، ابن حزم، حياته، عصره، آراؤه الفقهية

المصادر والمراجع

1- أبو زهرة محمد، الإمام ابن حزم حياته، عصره آراؤه، دار الفكر العربي، القاهرة.
2- ابن حزم الظاهري، الإحكام في أصول الأحكام، موقع المكتبة الشاملة.
3- ابن حزم الظاهري، طوق الحمامة في الألفة والألاف، طبعة موقع مكتبة نور الإلكترونية.
4- الحمد أحمد ناصر، ابن حزم وموقفه من الإلهيات، ط 1، جامعة أم القرى، 1406 ه
5- الحميدي أبو عبد الله محمد، جدوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، موقع مكتبة نور الإلكترونية.
6- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد عثمان، سير أعلام النبلاء، موقع مكتبة نور الإلكترونية.
7- سالم أحمد سلامة، منهج الإمام ابن حزم في كتابه المحلى، الموقع الإلكتروني.
8- الشريف أبي محمد بن علي الكتاني، وصف المحلى لابن حزم، ط 1997/1، الموقع الإلكتروني للجامعة الإسلامية للبنات، الإسكندرية.
9- عواد معروف بشار، تحقيق المحلى لابن حزم، مكتبة عبد العزيز بن خليفة آل ثاني.
10- عويس عبد الحليم، الإمام ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، موقع مكتبة نور الإلكترونية.

11- القطايري خالد محمد بن يحي، وصف كتاب المحلى لابن حزم، كلية الدراسات الإسلامية، دولة قطر، الموقع الإلكتروني.
12- المقري أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من عصن الأندلس، موقع مكتبة نور الإلكترونية.
13- محمد علي عباد حميسان، الإمام ابن حزم الأندلسي والتعريف بكتابه المحلى، موقع الألوكة الإلكتروني.
14- حسان محمد حسان، ابن حزم الأندلسي، جار الفكر العربي، القاهرة.